المبين

مَجلّة فصليّة مُحكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام عليّ عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانَةِ العامّةِ للعتَبةِ الحُسينيّةِ المُقدّسة
مؤسّسة عُلوم نهج البلاغة

السنة الرابعة – العدد التاسع
ربيع الأول ١٤٤١هـ – تشرين الثاني ٢٠١٩م

الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)

Man in the Ideology of Imam Ali
(peace be upon him)

أ. م. د. فلاح حسن عباس
كلية الآداب- جامعة ذي قار

Asst. Prof. Dr. Falah Hassan Abbas
University of Dhi Qar
College of Arts

ملخص البحث

يدرس هذا البحث دور الإمام علي (عليه السلام) في بناء الإنسان بوصفه النواة الأساسية للمجتمع بالنظر إلى سيرته (عليه السلام)، وأقواله التي جسّدها عملياً في تعامله مع الآخر، وسعيه المستمر في إرساء القيم الأخلاقية البنّاءة التي تنسجم ومبادئ حقوق الإنسان واحترام الرأي الآخر، وكذلك الإفادة من تراث الإمام (عليه السلام) في بناء المجتمع الإنساني الصالح، ونشر روح الألفة والمحبة والتسامح، والحوار الذي تفتقده المجتمعات الإنسانية في أماكن كثيرة من العالم في الزمن المعاصر، الذي تعاني فيه المجتمعات لاسيما الإسلامية من التشتت والتبعية والخنوع للأنظمة الإمبريالية المهيمنة على العالم بطرقها المختلفة، وسيطرتها على الاقتصاد بسبب امتلاكها للتكنولوجيا المتقدمة التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، وكذلك يسلّط الباحث الضوء على القضايا الإنسانية والاجتماعية في أقوال الإمام (عليه السلام)، وأثرها في المجتمع، ومناقشتها، ومقارنتها بما وصلت إليه المجتمعات البشرية اليوم قبال تغيّر منظومة القيم لدى كثير من المجتمعات؛ لاسيّما الغربية التي تُسمَّى بالعالم المتحضر أو المتمدّن (الديمقراطي الليبرالي).

Abstract

This research deals with the role of Imam Ali in building the human being as the nucleus of society depending on his biography and his words which embodied in practical way in his dealings with the other and his continuous demarche to establish moral values that are harmonize with the principles of human rights and respect of the other opinion.

As well as benefiting of Imam Ali's heritage (peace be upon him) in building a good humanitarian society and spreading the spirit of love, forgiveness and dialogue that human societies lack in many parts of the world in contemporary times, especially Islamic societies, suffer from fragmentation, subordination and submission to the imperialist regimes dominating on the world in its various ways, and its control over the economy because of its advanced technology that transformed the world into a small village.

The researcher also sheds light on the humanitarian and social issues in the words of Imam Ali (peace be upon him) and their impact in the society, discussing and comparing them with what the human societies have reached today, in addition to the change in the values system of many societies, especially the western ones (the Liberal Democratic World).

المقدمة

يتكوّن هذا البحث من عدّة مباحث ناقش الباحث فيها عدّة مواضيع حول القيم الإنسانية المتجسدة في فكر الإمام علي (عليه السلام) الذي يُعد امتدادًا لفكر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي جاء بالرسالة الإنسانية الأخلاقية لنشر قيم العدالة والمساواة والتسامح والحوار والتعايش السلمي مع الآخر، والابتعاد عن العنف والاعتداء على حقوق الإنسان، وناقش الباحث أيضًا قضايا أخرى مرتبطة بالموضوع.

درس الباحث في المبحث الأول موضوعًا عن التحرر الفكري والإنساني الذي تميّز به الإمام (عليه السلام)، وتكلّم عن إنسانية الإنسان، وأهميتها في بناء المجتمع الصالح المستند على عماد العدالة والمساواة بين أفراده، وبيّن وقوف الإمام (عليه السلام) مع المظلومين والمحرومين في قضاياهم المختلفة، وسعيه (عليه السلام) لتحرير الإنسان من جميع القيود التي تحدد تحرره، وتكبّله وتحول دون عيشه بكرامة.

أمّا المبحث الثاني فجاء ليتكلم عن الآخر والتعايش السلمي، الذي له الأثر الكبير في تكامل الحياة الإنسانية وتفاعل المجتمعات إيجابيًا بسبب التعدد والتنوع، وأنّ التنوع الإنساني المستند على أساس الشعوب والقبائل هو حقيقة خلقية غير مصطنعة، وليس لمجموعة بشرية أفضلية على أخرى بسبب اللون والعرق واللغة.

بينما ناقش المبحث الثالث التواضع وسعة الصدر، وهما من السجايا الإنسانية والأخلاقية التي يتصف بها الإمام (عليه السلام).

وتكلّم الباحث في المبحث الرابع عن عدالة الإمام (عليه السلام)، وتأكيده عليها؛ لأهميتها في شيوع الثقة

والاطمئنان، فمع العدالة والمساواة لا يشعر الإنسان بإهدار حقة ولا تفضيل غيره عليه عند الإمام (عليه السلام) بسبب القرابة أو العلاقات الاجتماعية الأخرى.

وتناول المبحث الخامس القضايا الاقتصادية والاجتماعية وأهمية التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وبه تزدهر الحياة فالإنسان أخ الإنسان والعدالة الاجتماعية أساس مهم لتحقيق مجتمع متوازن، وهي من المسائل التي أكد عليها الإمام (عليه السلام).

ثم الخاتمة التي لخصّ الباحث فيها أهم النتائج التي توصل إليها، كما ذكر بعض المقترحات.

المبحث الأول

التحرر الفكري والإنساني

إنسانية الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) من القضايا الأساسية التي لها دور كبير في بناء المجتمع الإنساني الصالح القائم على أسس الحياة العادلة والمساواة بين أفراده، فعند اطلاعنا على أقواله نرى بشكل جلي وقوف الإمام لنصرة المظلومين والمستضعفين، ومما يدل على ذلك قوله: «**الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ**»(١) وهو تجسيد لجميع المعاني التي دعت إليها مبادئ حقوق الإنسان ونصرة الفقراء والضعفاء في هذا العالم، وما هو حجم السعادة التي تعتري الضعيف عندما يجد من ينصره ويقف معه في جميع قضاياه، ويعيد إليه حقه المغتصب من لدن القوى الظالمة، وكيف تنعكس تلك السعادة على المجتمع لتعيد إليه الثقة بنفسه ومحيطه الاجتماعي، فالذليل عند علي (عليه السلام) عزيز، والقوي الظالم ضعيف؛ لاغتصابه حق الآخر الضعيف، وحالة الضعف التي تعتري القوي

الظالم عند استرجاع الحق منه؛ تؤدي إلى شعوره بالضعف والخنوع، وعدم تعاليه على الآخر الضعيف[٢].

سعى الإمام (عليه السلام) وبشكل واقعي إلى تحرير الإنسان، وحرية الإنسان عنده هي ليست الحرية الإباحية الرعناء، إنّما هي حرية مقترنة بالشعور بالمسؤولية على كافة الأصعدة، وهكذا يتوسّع معنى الشعور بالمسؤولية في مدارك الناس[٣].

وفي الوقت الذي يشير الإعلام فيه بواسطة وسائلة المتطورة والكثيرة إلى أنّ دول العالم المتقدم وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية تحث الخطى نحو نشر حقوق الإنسان، وتحرير الإنسان من جميع القيود التي تحول دون عيشه بكرامة، نشاهدها وبصورة واضحة تسعى لفرض سيطرتها وهيمنتها على العالم ولاسيّما دول العالم الثالث. فالمصالح الاقتصادية والسيطرة على منابع الربح الوفير أصبح هدفًا إستراتيجيًا للكثير من دول العالم المتقدم، والسيطرة على الدول الضعيفة وعلى إمكانياتها الاقتصادية تعد من الاستراتيجيات المهمة لدى الدول القوية، فدول العالم اليوم في تسابق مستمر نحو التسلح بشتّى أنواعه؛ مؤديًا إلى نشر القلق والهلع وزعزعة الثقة بين المجتمعات الإنسانية، وإذا تأملنا بشكل واقعي لأنظمة الدول المتقدمة وبالأخص الولايات المتحدة نجد أنّ لديها وجهان: الوجه الإيجابي المشرق الذي يعكس صورة التقدم العلمي والحضاري والتكنولوجي مع قوانينها التي تؤكد على حماية حقوق الإنسان وحريته وتمتعه بالديمقراطية الليبرالية- وما للإعلام من دور في بيان ذلك وإظهار أمريكا بالوجه الحسن- والوجه الآخر هو الوجه السلبي.

يقول السناتور الأمريكي الأسبق وليم فولبرايت: «لقد دأبنا في سنوات قوتنا العظيمة، على أن نحيّر العالم، إذ نقدم له في وقت ما الوجه المشرق من وجهي أمريكا، ثم ندير له الوجه الآخر، وقد نقدم له الوجهين في وقت واحد. وتنظر شعوب كثيرة في مختلف أنحاء العالم إلى أمريكا على أنها قادرة على التسامح وبعد النظر، ولكنها قادرة أيضًا على أن تضمر سوء النية، وأن تكون وضيعة، وينجم عن ذلك عجز عن توقع أفعال أمريكا لدى الناس»[٤].

ويبدو جليًّا تفكك النسيج الاجتماعي في الولايات المتحدة، وتراجع بمستويات الجماعة لصالح الأنانية والفردية واللامبالاة، والجسم الاقتصادي تعرّض للتفكك أيضًا؛ بسبب عدم التكافؤ بين طبقات المجتمع، واهتمام الأفراد بمصالحهم الفردية والذاتية على حساب الآخرين، والاهتمام بالوسائل الاستهلاكية على حساب الغايات الإنسانية نتج عنه تراجع الضمير الإنساني. ويبدو أنّ الولايات المتحدة تهتم بتأمين مصالحها في العالم بالدرجة الأولى، وكل ما تدّعيه حول إيمانها بمبادئ حقوق الإنسان والديمقراطية ومبادئ الحرية إنما هو لتأمين مصالحها بغية نشر هيمنتها ونفوذها على العالم[٥].

إنّ الهدف الواضح للولايات المتحدة هو الهيمنة على العالم؛ لذلك نراها غير مترددة في فرض الاستبداد في أي مكان منه؛ لتحقيق غاياتها ومصالحها في الوقت الذي تدّعي فيه سعيها لتحقيق الحرية للشعوب، وأنّها لا تبالي بحقوق الإنسان بغية تحقيق مصالح شركاتها العملاقة متعددة الجنسية، فهي ليست مع مبادئ أخلاقية أو إنسانية أو دينية وإنّما تسعى لتحقيق الأرباح لها،

وتسعى لربط الآخرين بها لمصالحها الاستراتيجية؛ لذلك وقفت إلى جانب الحكومات الشمولية المستبدة والظالمة لشعوبها، والمصادرة لحقوقهم سواء في منطقة الشرق الأوسط، أو أمريكا اللاتينية أو في آسيا؛ لأنّ تلك الأنظمة- المستبدّة- تؤمّن مصالحها، وتنفّذ استراتيجياتها طويلة الأمد[٦].

المبحث الثاني

الآخر والتعايش السلمي

يبدو أنّ الإنسان في الزمن المعاصر وفي جميع دول العالم يعاني من أفكار وأيديولوجيات مختلفة زعزعت ثقته بأخيه الإنسان المختلف باللون أو العرق أو الدين أو الطائفة أو اللغة وغيرها، وأزمة الثقة في زمننا هذا أخذت تعصف بالمجتمعات البشرية وتهدد استقرارها، ففي الحقيقة أنّ ظاهرة تعايش الإنسان مع أخيه الإنسان المختلف؛ تؤدّي إلى التكامل في الحياة الإنسانية والوجود الكوني، فالتنافس أو الصراع بين المختلفين لا يهدف إلى إفناء الآخر أو إبادته، بل يهدف إلى إغنائه. وهذه حكمة الله سبحانه، فالتعدد والتنوع في المجتمعات يؤدي إلى نتائج إيجابية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٧]. وهنا نرى تجسيدًا واضحًا لاتحاد الإنسانية من حيث المصدر ووحدة منشأها، ويلغي كل ترتيب زائف من القيم والمفاهيم والممارسات التي يشوبها النقص نتيجة الفهم الخاطئ في التعامل مع الآخر المختلف، بعد تقييم الإنسان وتصنيفه حسب العرق أو اللون أو الدم. فالخطاب هنا موجّه لكلِّ الناس دون استثناء: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ والخالق واحد يؤكّد وحدة الإنسانية من النوع والهوية

والجوهر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾. وهنا لا توجد قيمة لكل الاعتبارات الزائفة التي وضعها الإنسان التي تصادر هذه الوحدة التعددية للإنسانية عن طريق مصادرة استحقاق هذا الانتماء الإنساني المشترك في التكافؤ والمساواة استنادًا إلى التنوع والتعدد في اللون والشكل والعرق، فالخالق جعل خلقه ﴿شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾.

إنّ التنوع الإنساني القائم على أساس الشعوب والقبائل هو حقيقة خلقية غير زائفة وهو إرادة الخالق (عزّ وجلّ) ولم يحدث صدفة أو بسبب طفرة وراثية، وهذا التنوع الإنساني القائم على أساس النسب أو الشكل لم يأت للوجود بسبب الاعتبارات الإنسانية المتغيرة عبر المراحل الزمنية والتطور؛ بل يستمد وجوده من الخالق الموجد لهذا الجعل التكويني، ووفق ذلك لا تمتلك أيّ جهة حق إلغاء هذا التنوع والتعدد في الخلق، وهذا يهدينا إلى عدم الاعتراف بخصوصية أي جماعة تختلف في العرق أو اللون أو اللغة فضلًا عن الخصائص التي يشترك بها بني البشر؛ لأنّ هذه الاختلافات طبيعية بذاتها فهي تجسّد إرادة الخالق الجاعل لهذا التنوّع[٨] قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[٩].

إنّ الفاعلية الإنسانية كعلّة لهذا التنوّع والتعدد ذلك إنّ الكون لا يمكنه الحركة والتفاعل والإبداع إلاّ وفق آليات الاختلاف الذي يُنتج التنوع والتعدد بعكس التشابه والتماثل الذي يقضي على إمكانية الحركة والتدافع الكوني والوجودي المطلوب لنشوء الحياة. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ

﴿إِنَّ اللَّـهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[10].

وبناءً على ذلك فإنّ الاعتراف بالتعدد والتنوع يقودنا إلى احترام نتائجه، ومنها احترام الخصوصيات الذاتية للأفراد والجماعات البشرية الناتج عنها أشكالًا متعددة في التعبير عن ذاتها ثقافيًا وحضاريًا ومعرفيًا، وهو يعبّر عن خصوصية الإبداع وتميّزه، ولا يعني الصراع والخلاف لإثبات من هو الأجدر والأفضل في الوجود الإنساني، إنّ التعارف أمرًا إيجابيًا في بناء الإنسانية الصالحة، وله دور كبير لحل إشكالية الخلاف، ووقف الصراع بين الناس ﴿لِتعارفوا﴾ فالتعارف مبدأ صالح يجمع الناس على الود والتسامح، وبالإمكان توظيفه لجعل الخلاف إيجابياً، وجعل التعدد والتنوع نعمة وليس نقمة عن طريق الاعتراف بالآخر، واحترام خصوصياته ليتحقق بذلك تعايشًا سلميًا حضاريًا وثقافيًا، ومن هنا يتبيّن ما للتعارف من أهمية كبيرة في نشر بذور المحبة والود والتعايش السلمي بين بني البشر، والتعارف ناتج عن التنوع والتعدد، ولولا التنوع لما كان التعارف، ولا قيمة له ولا وجود إلّا مع هذا الجعل التكويني، ومن ثماره تعايش الإنسان مع أخيه الإنسان بسلام ومحبة وتبادل الطاقات والخبرات وتلبية جميع احتياجات الإنسان[11].

ومما جاء في الوثيقة الإنسانية الجامعة لكلِّ المعاني الأخلاقية في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر النخعي عندما أرسله لولاية مصر: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ...»[12].

وهنا الرسالة الحقيقية للإنسان

الرسالي والمصلح الحقيقي والقائد الذي يشعر لشعور الرعية دون تمييز بينهم، وهو تأسيس لمبادئ حقوق الإنسان التي أصبحت شعارات وأبواق للكثير من حكّام العالم ولكن دون تطبيق.

فالرحمة والمحبة للرعية واللطف بهم من أسباب النجاح في إدارة الدولة ورقيها على كافة الأصعدة، ولو وجدت هذه الأسباب بصورة واقعية في العالم اليوم؛ لما شهدت دول العالم نزاعات لأسباب كثيرة ومنها، الظلم والتمييز في التعامل مع الشعوب والأقليات العرقية أو الدينية أو المذهبية... الخ. «ولا تكونن عليهم كالوحش الضاري تغتنم الفرص للإيقاع بهم، والاستيلاء على ما بين أيديهم، حيث الناس تجمعهم وإياك إمّا العقيدة، وإمّا صلة النوع والمشاعر والمظاهر»[١٣].

وهنا تتجلى الإنسانية فالمحكوم نظير الحاكم في الإنسانية، والاختلاف بالعرق واللغة والدين والفكر ليس مسوّغًا للحاكم ظلمه للرعية.

لقد أكّدها الإمام (عليه السلام) منذ ذلك الوقت؛ لتكون منهجًا في دولته العادلة بعمقها الحضاري والإنساني والفكري، وهو عكس ما نلاحظه اليوم في الكثير من الدول لاسيّما بلدان العالم المتقدم التي تعاني تمزّقًا في نسيجها الاجتماعي، وتجسد ذلك عن طريق ظهور كثير من الأفكار التي روّجت لفكرة الصِدام بين الحضارات الإنسانية المختلفة وأبرزها أطروحة صِدام الحضارات للكاتب صموئيل هنتنجتون الذي حكم على أنَّ الحضارات قبائل إنسانية كبيرة، وصِدام الحضارات هو صراع قبلي على نطاق عالمي، والفروق الثقافية هي الأساس في التصنيف والتمييز بين بني البشر في الزمن المعاصر، فالهوية الثقافية

عنده تتحدد بالتضاد مع الآخرين وفي الحروب تترسخ[١٤]. وفي الحقيقة أصبح الإنسان المعاصر يشعر بالمشكلة الاجتماعية أكثر من شعوره بها في المراحل التاريخية السابقة، وأصبح أكثر وعيًا، ويتحسس المشكلة بشكل أشد من السابق، وكذلك فهم تعقيداتها بشكل كبير، فالمشكلة الاجتماعية هي من صنع الإنسان كما أثبت التاريخ عن طريق إسقرائه بأنّ الحياة كلما أخذت بالتطور تزداد مشاكلها وتعقيداتها، وهذا ما نلاحظه في زمننا المعاصر إذ تزايد وتصاعد نسبة المشاكل بشتّى أنواعها بسبب التقدم التكنولوجي والأنترنت والإعلام- فالإنسان المعاصر سيطر بشكل كبير على الطبيعة[١٥]، وهذه السيطرة أدّت إلى تغيّرات كثيرة في النظام الاجتماعي، وهذا ما تعانيه كثير من المجتمعات لاسيّما مجتمعات العالم المتقدم، فضلًا عن وقوع مجتمعات العالم الثالث، أو المجتمعات الفقيرة تحت موجات من الغزو الثقافي والفكري والحضاري المفروض بشكل مباشر أو غير مباشر وبطرق مختلفة.

المبحث الثالث

التواضع وسعة الصدر

التواضع سمة بارزة في حياة الإمام (عليه السلام)، وهو فيض من أخلاقه العالية وقيادته الصالحة للمجتمع، فهو القائد والمصلح، كان يرتدي الملابس البسيطة، ويأكل خبز الشعير واللبن، ويرقع ثوبه البالي[١٦] وهو القائد العادل للمجتمع، المتمكّن من أسباب الدولة الاقتصادية وغيرها، وتواضعه نابع من جوهر شخصيته وسجاياها، لا يبتغ بذلك إتباع أسلوب متصنِّع كما يفعله كثير من قادة العالم على اختلاف المراحل الزمنية.

فإحساسه بالرعية ومعاناتها

وعدالته الواقعية؛ جعله يعيش واقع الحياة الاجتماعية وما يترتب عليها من إجراءات تستوجب من القيادة العادلة اتخاذها؛ بوصفها جزءًا من ذلك المجتمع تتأثّر بما يتأثّر به.

وهنا يستحسن الإمام تواضع الأغنياء تجاه الفقراء بقوله: «**مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِمَا عِنْدَ اللّهِ! وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالًا عَلَى اللهِ**»[17]، وتِيه الفقراء أحسن: «لأنّ تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله، فإنّه بذلك قد أمات طمعًا ومحا خوفًا؛ وصابر في بأسٍ شديد، ولا شيء من هذا في تواضع الغني»[18].

وقوله(عليه السلام): «**آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ**»[19] فيه بيان واضح للذين يتصدّون لإدارة الدول والمؤسسات والموظفين كل حسب مسؤولياته، فهنا يؤكد الإمام (عليه السلام) على التحلّي بمكارم الأخلاق، والسماح للرعية بالتعبير عن آرائهم، واحترام وجهات النظر، وتقبّل النقد واحتواء الآخرين، واستيعابهم ومعالجة الأمور بتقديم المقترحات والحلول، وهو أسلوب حضاري ناجح ومهم للقائد ويعكس عمقه الحضاري والثقافي والإنساني والاجتماعي، وبعده المعنوي، وهو دعوة إلى التحلّي بالصّدق والتسامح والعفو والرحمة والابتعاد عن الغضب والسيطرة على النفس، وعدم إصدار الأحكام على الأشياء في حالة الغضب، وعدم مقابلة الرعيّة بالمِثل، فلا يقابل الإساءة بالإساءة؛ بل ينطلق بتعامله مع المسيء من موقع أبوي شامل، وكان يمتلك بعد نظر ويحلل الأمور والمواقف تحليلًا واقعيًا سليمًا بعيدًا عن الأهواء الشخصية والاستبداد بالرأي، فذلك من الأمور المهمة بالنسبة للقائد والمربّي الناجح[20].

وقوله عليه السلام: «**أَلاَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ**»[٢١] وهنا يحذر الإمام (عليه السلام) المجتمع بشكل صريح بعدم طاعة المتكبرين والمترفعين على المجتمع، وهو بيان لسادة وقادة المجتمع أن يكونوا قريبين من تطلعات مجتمعاتهم، وأن يتحسسوا معاناتهم وآلامهم وهمومهم، ولا يضعون أنفسهم في أبراج عاجيّة، ولا ينظرون إلى الناس من قمم عالية ليستصغروا حجمهم ويقللوا شأنهم.

المبحث الرابع

العدل

سعى أمير المؤمنين (عليه السلام) بشكل واقعي إلى إشاعة العدل والمساواة بين الناس من دون تفريق وتمييز بينهم لأسباب مختلفة، ووقف بمسافة واحدة من الرعيّة، وكان معارضًا لسياسة عمر في التفضيل؛ لأنّ العباد عباد الله، والمال مال الله، وهم شركاء فيه على قدر الجهد.

إنّ الناس سواسية عنده، وكان يرفض سياسة التمييز القومي، والاستعلاء القبلي (القرشي)؛ بوصفها إرادة تحويل تراث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مكاسب خاصّة؛ لانّ الإسلام دين جاء للناس جميعًا، وهو لا يفرّق بين الناس على أساس عرقي أو قومي، وكان الإمام (عليه السلام) في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أساس متين من الأسس التي بني عليها الإسلام وقاعدة (العدل أساس الحكم) من القواعد الأساسية التي سعى لتطبيقها، وتثبيتها؛ ليحقق بذلك العدالة بين الناس في جميع مجالات الحياة لاسيّما المجال الاقتصادي[٢٢].

يقول عليه السلام: «**وأيُّما رَجُلٍ اِستَجابَ للّه وَلِلرَّسولِ فَصَدَّقَ مِلَّتَنا، ودَخَلَ دينَنا وَاستَقبَلَ قِبلَتَنا فَقَدِ استَوجَبَ حُقوقَ الإِسلامِ وحُدودَهُ،**

فَأَنتُم عِبادُ الله، وَالمالُ مالُ الله؛ يُقسَمُ بَينَكُم بِالسَّوِيَّةِ ولا فَضلَ فيهِ لِأَحَدٍ عَلى أَحَدٍ ولِلمُتَّقينَ عِندَ الله أَحسَنُ الجَزاءِ»[٢٣].

يُعد المنهج العادل في الحكم وتوزيع ثروات بيت المال على الناس بلا فروق وتمييز بينهم على أساس القرابة أو غيرها من الأمور، هو- المنهج- المطبّق في عهده؛ لذلك نرى أنّ الإمام (عليه السلام) صادر ما وهبه عثمان من الأموال الكثيرة لطبقة الأرستقراطيين، وأبلغهم في سياسته في توزيع الثروات: «أَيُّها النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُم، لِيْ مَا لَكُمْ وَعَلَيَّ مَا عَلَيْكُم، أَلاَ وَإِنَّ كُلَّ قَطِيْعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ وَكُلَّ مَالٍ أَعْطَاهُ مِنْ مَالِ الله، فَهُوَ مَرْدُودٌ فِي بَيْتِ المَالِ، فَإِنَّ الحَقَّ القديم لا يُبْطِلُهِ شَيْءٌ، وَلَوْ وَجَدْتُه وقَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاء، وَمُلِكَ الإِمَاء، وَفُرِّقَ بَينَ البُلدَانِ لرَدَدْتُه، فَإِنَّ فِي العَدْلِ سَعَةً، وَمَنْ ضَاقَ عَنهُ الحَقُّ فَالجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ»[٢٤] «أَيُّها النَّاسُ.. أَلا يَقُولَنَّ رِجَالٌ مِنْكُم غَدًا؛ قَدْ غَمَرَتْهُم الدُّنْيَا فامْتَلَكُوا العَقَارَ وَفَجَّرُوا الأَنْهارَ وَرَكِبُوا الخَيْلَ وَاتَّخَذُوا الوَصَائِفَ المُرَقَّقَةَ، إِذَا مَا مَنَعْتُهم مَا كَانُوا يَخُوضُون فِيْهِ وَأَصَونهم إلى حُقُوْقِهِمْ التِيْ يَعْلَمُونَ: حَرَمَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ حُقُوقَنَا! أَلاَ وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) يَرى أَنَّ الفَضْلَ لَهُ عَلى سِوَاهُ بِصُحْبَتِهِ، فَإِنَّ الفَضْلَ غَدًا عِنْدَ الله، فَأَنْتُمْ عِبَادُ الله، وَالمَالُ مَالُ الله، يُقْسَمُ بَيْنَكُمْ بالسَّوِيَّةِ وَلا فَضْلَ فِيهِ لأَحَدٍ عَلى أَحَدٍ»[٢٥]، وهذا الأمر زعزع المتنفذين من المجتمع الذين أساؤوا لصورة المسلم الحقيقي المتمثلة بالنبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه الأبرار، ويبدو أنّ ردة فعل المتنفذين جعلتهم يساومون الإمام (عليه السلام) على أن يطيعوه مقابل غض النظر عن ما سلف منهم، فبعثوا إليه الوليد بن

عقبة بن أبي معيط[٢٦]، فقال للإمام (عليه السلام): «يا أبا الحسن! إنّك قد وترتنا جميعًا، ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال أيّام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنّا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام»[٢٧] فردّ عليهم الإمام (عليه السلام) قائلًا: «**فَأَمّا هـذَا الفَـيءُ فَلَيسَ لِأَحَـدٍ فيهِ أَثَـرَةٌ، وقَد فَرَغَ اللهُ مِن قَسمَتِهِ فَهُوَ مالُ اللهِ وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فيتولّ كيف شاء**»[٢٨].

وهذا دلالة حقيقة للقائد العادل الذي لا يميّز بين الرعية والمتمسّك بالنهج الذي خطّه وسار عليه لإحقاق الحق الذي يؤدّي بدوره إلى ترسيخ الأسس الحقيقة للثقة التي يحتاج إليها الإنسان في عالمنا المعاصر بشكل كبير وبصورة مستمرة، وكذلك أكّد اتّباعه مبدأ العدل في توزيع الثروات على الرعية، وبينّ لهم بأنّ التقوى والسبق بالإسلام لا تمنح من يتمتع بها امتيازات دنيوية، فالناس سواسية في هذه الدنيا، والله سيجازي من له فضل السبق بالإسلام، وبذلك جسّد الإمام أروع الصور لروح المواطنة الحقيقية بين الرعيّة.

وذكر ابن الأثير أنّ الشعبي قال: «وجد علي درعًا له عند نصراني فأقبل إلى شُرَيْح وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلمًا لساويته، وقال: هذه درعي، فقال النصراني: ماهي إلّا درعي ولم يكذِب أمير المؤمنين، فقال شريح لعلي: ألك بيّنة؟ قال: لا. وهو يضحك فأخذ النصراني الدرع ومشى يسيرًا، ثم عاد وقال: أشهد أنّ هذه أحكامُ الأنبياء أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، ثم

أسلم واعترف أنّ الدرعَ سقطت مِن عليّ عند مسيره إلى صفين»[٢٩]، هذه القصة تؤكد أيضًا قيادة الإمام (عليه السلام) العادلة والإنسانية، وهذا نموذج رائع للإنسانية في أسلوب التعامل مع الآخر، وعند مقارنة ذلك بما يفعله حكّام كثير من البلدان لوجدنا فارق كبير وهوّة واسعة.

وقد ذكر التاريخ أروع الأمثلة والعبر التي تجسد وتعكس عدالة الإمام علي (عليه السلام) مع كافة طبقات المجتمع، ومنها: روي أنّ عقيل أخا الإمام (عليه السلام)، كان ضريرًا أتى إلى الإمام يومًا يطلب صاعًا من القمح من بيت المسلمين زيادة على حقّه، وكرر طلبه على علي (عليه السلام)، فأحمى الإمام حديدة على النار، وأدناها منه، ففزع منها عقيل[٣٠]، فوعظه الإمام (عليه السلام): «يَا عَقِيلُ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرّنِي إِلَى نَارٍ سَجَّرَهَا جَبّارُهَا لِغَضَبِهِ! أَتَئِنّ مِنَ الأَذَى وَلَا أَئِنّ مِنْ لَظَى»[٣١]. ومن المواقف الفريدة التي جسّدتها إنسانيته وعدالته ما روي عنه (عليه السلام)، أنّ واليه على البصرة عثمان بن حنيف دُعي إلى وليمة قوم من أهلها، فذهب إليها، فأرسل إليه الإمام علي (عليه السلام) كتابًا تأديبيًا[٣٢] يجسّد فضائل الإنسانية السامية التي تنادي بها قوانين حقوق الإنسان والعدالة في إدارة الدولة والمؤسسات التابعة لها، ووقوف الحاكم تجاه الرعية من موضع واحد: «أَمَّا بَعْدُ، يَا ابْنَ حُنَيفٍ: فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ البَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ؛ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تستجِيْبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ، فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ. أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ

مَأْمُومٍ إِمَامًا، يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ»[٣٣].

وقوله عليه السلام: «أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ! وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ... وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ»[٣٤] اتصف الإمام (عليه السلام) بأنبل الصفات وأروعها، كان يوصي بإقامة الحق وكان لا يؤمن بنسبية الحق وفقًا للبيئة والمحيط، والحدود الجغرافية المصطنعة بل كان يؤمن به منهجًا شاملًا لا تحده حدود، والحق عنده لا يخضع للإرادة والهوى فهو يحث على الحق في كل زمان ومكان، وفي كل الأحوال عند الرضا، وفي حالة الغضب وعلى الصديق والعدو، فهو يتعامل معهم على أساس العدل والحق: «عليكم بكلمة الحقِّ في الرِّضا والغضب، وبالعدل على الصّديق والعدو»[٣٦].

وهنا دعوة لإشاعة الحق بين الناس، والتعاون به، والأخذ على يد الظالم السفيه، بسبب استهانته بحقوق الآخرين فبالحق يقف المظلوم بوجه الظالم، ولإحقاق الحق دور كبير في تغير حالة الفرد والمجتمع من السلب إلى الإيجاب، وبالحق تهاوت حكومات ظالمة كثيرة على المراحل الزمنية المختلفة والتأريخ الإنساني شهد كثير من الثورات التي غيّرت من أحوال المجتمعات: «تَعَاطَوُا الْحَقَّ بَيْنَكُمْ وَتَعَاوَنُوا بِهِ، وَخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ السَّفِيهِ»[٣٧] وقوله (عليه السلام): «وَلَا

تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ»[٣٨] فيه حث لعدم تضييع حقوق الأخوان والأقرباء مستغلًا بذلك المعرفة والقرابة أو صلة الرحم.

المبحث الخامس

القضايا الاقتصادية والاجتماعية

يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع البشري، وعلى أن يشعر أفراده ببعضهم بعضًا، فلا يصح أن يعيش الغني متنعمًا بالنعم الوفيرة تاركًا أخاه الإنسان الفقير يكابد قساوة الحياة وآلام الحاجة والحرمان. فقوله (عليه السلام): «فَما جاعَ فَقيرٌ إلّا بِما مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ؛ وَاللّهُ تَعالى سائِلُهُم عَن ذلِكَ»[٣٩]، وقال: «ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيَّع»[٤٠] فالعدالة الاجتماعية من القضايا المهمة التي أكد عليها الإمام علي (عليه السلام)، والتكافل الاجتماعي أحد أسبابها، فإذا أخذت الدول بإنشاء مؤسسات عادلة تعنى بأمور الفقراء والنظر في قضاياهم الاجتماعية وإيجاد الحلول لهم، لعاشت المجتمعات البشرية بأمن اقتصادي ونفسي مستقر، وكذلك تقل الفوارق الطبقية بين بني البشر، لكنَّ الذي يحصل- في زمن الحداثة وما بعدها- أنَّ كثيرًا من المجتمعات الفقيرة يعاني أبناؤها من الفقر والبؤس وتفشّي الأمراض المختلفة، بينما تعيش مجتمعات العالم المتقدم برخاء اقتصادي، إلّا أنّها تعاني من أزمة الثقة ومن ثم عدم الاطمئنان؛ فالإنسان في تلك المجمعات كأنّه تحوّل إلى آلة.

والأنباء عن الممارسات عن حرق ملايين الأطنان من الحنطة وبعض المواد الغذائية حفاظًا على الأسعار، وجعل الدول الفقيرة

في تبعية مستمرة للدول الغنية في الوقت الذي يتعرض فيه كثير من البشر وفي مناطق مختلفة من العالم إلى الموت بسبب الفقر والمرض والجوع، دليل على الممارسات اللاإنسانية للدول الإمبريالية كما عانت- ولا تزال- كثير من المجتمعات ويلات الحروب المدمرة بسبب التعصب القومي والعرقي، مثال ذلك نظرية صفاء العرق الجرمني الآري التي كان شعارها: (ألمانيا فوق الجميع)، وكذلك الدعاوى الفاشية التي دمّرت كثير من البشر باسم التعصب القومي والعنصري[41].

وفي قوله (عليه السلام): «**خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ**»[42] دعوة واضحة وصريحة إلى إقامة علاقات إنسانية واجتماعية محمودة بين الناس، بالشكل الذي يكون فيه الإنسان مؤثرًا بشكل إيجابي بالآخر أيا كان، فبموته وفراقه يشعر الآخر بفراغ مكانه، ويحزن لذلك بسبب الإحساس الإيجابي للعلاقات الإنسانية الصالحة وتأثيرها في النفس البشرية على الرغم من اختلاف الرؤى والأفكار، والتأثير الإيجابي في الآخر لا يتم بصورة عفوية أو عن طريق الصدفة، إنما هو بسبب عوامل اجتماعية وإنسانية نبيلة تضفي للحياة روحها الحقيقية وجمالها الروحي، وبآداب العشرة الصالحة يحنّ الإنسان لأخيه الإنسان، وبالتفاعل الإنساني تكتمل الحياة بسلام وود بين بني الإنسان[43].

وقوله (عليه السلام): «**الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ، وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ، نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ**»[44] دعوة صادقة إلى التصدّق وبذل الأشياء المادية والمعنوية لمن يستحقها؛ مما تساعد على رفد الإنسان بفرص الحياة الكريمة وتؤدّي إلى تواصل

وتقارب أفراد المجتمع، وتعمل على التقليل من الجرائم والمشاكل التي تحدث بسبب الفقر والعوز وبهذا يكون لها دور كبير في إشاعة الأمن والاطمئنان والثقة بين أفراد المجتمع[٤٥].

إنّ تطبيق العدالة والمساواة يحتاج إلى أجهزة وأدوات وعناصر مؤمنة بالعدل والمساواة في الحقوق والواجبات، والمساواة تعني بناء علاقات عادلة ومستقرة بين الثروة الاجتماعية والمجتمع ومنع تركز الأموال عند طرف صغير وحرمان الطرف الآخر منه، فمحدودية الثروة الاجتماعية، والأزمات التي يتعرض لها الإنسان كالحروب، والمجاعات، والأمراض والأوبئة والكوارث الأخرى جعلت من العدالة الاجتماعية أن تكون حقًا لجميع أفراد المجتمع؛ كون الثروات تنفذ بمرور الزمن ويهلك الأثرياء، ويبقى المجتمع، ويستمر بفقره وبؤسه إذا لم يكن هناك عدل ومساواة ولذا فالعدل يحفظ المجتمع من الأضرار بأنواعها وفي كلِّ الأوقات لاسيّما العصيبة[٤٦].

ويبيّن الإمام (عليه السلام) بأنّ على الحاكم تطبيق القانون بعدالة بين الرعية أي أنّ الأغنياء وأصحاب الجاه ممن لهم مكانة اجتماعية مرموقة أو مناصب معينة، والفقراء والطبقات الكادحة من الشعب يكونون بموضع واحد قبال القانون: «**وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا**»[٤٧]. وهنا يحث الحاكم على الاهتمام بالطبقات الفقيرة والكادحة من المجتمع: «**ثُمَّ اللَّهَ اللَّهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى...**»[٤٨] ويؤكد الإمام

على السلم المجتمعي، وعدم سفك الدماء وهنا دعوة إلى نبذ العنف والاقتتال بين الناس، على عكس ما نراه اليوم من ممارسات العنف في مناطق كثيرة من العالم وتحت عنوانات مختلفة، والتعامل المزدوج من لدن بعض قادة الدول المتقدمة تجاه الجماعات الإرهابية المتطرفة وحسب مصالحها: «**إِيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا**»[٤٩].

ويدعو الإمام (عليه السلام) إلى الابتعاد عن الاحتكار لكي لا يتزعزع الاقتصاد ومن ثم يجوع الناس، وتتردى حالة المجتمع فيؤثر على تماسك نسيجه الاجتماعي، ويتفشّى بذلك الاستغلال من لدن التجار والأغنياء بأبشع صوره وهو ما يتنافى مع المبادئ الإنسانية في دولته العادلة: «**فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، مَنَعَ مِنْهُ. وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمْحًا: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ**»[٥٠]، وقوله (عليه السلام): «**لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ**»[٥١] يمثّل دعوة إلى أن يساهم الإنسان ضمن حدود قدرته وإمكانياته المادية والمعنوية، وأن لا يستحي عند عدم قدرته على إنفاق المزيد في الوقت الذي يرى فيه آخرين أكثر إنفاقًا، وإنّ بعض الأغنياء ممن يسعون لتحقيق شهرة وظهور ووجاهة اجتماعية قد لا يشارك ببذل القليل؛ بوصفه سببًا في نقص مكانته الاجتماعية فيتهرب من الإنفاق بطريقة أو بأخرى لكي لا يُنتقد من قبل الآخرين، ولا يعيّرونه بالقلة أو الإفلاس.

وفي قوله (عليه السلام): «**القَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنفَدُ**»[٥٢] قاعدة اقتصادية واجتماعية

ترتقي بالإنسان إلى درجات عالية في سلّم السعادة النفسية والروحية والاطمئنان والثقة بالنفس، وفيها فيض من الطاقة الإيجابية تتحلى بها النفوس السائرة عليها، وهي حث إلى الناس للرّضا فيما يتيسر لهم من الأشياء والاكتفاء بما موجود، وعدم اللهفة وراء المفقود، فالتعوّد على القناعة تحصّن الإنسان، وتجعله متمكنًا مما سيتعرض له من محن وأزمات في الحياة: كالفقر والمرض... والأمور المعنوية، كالقيمة الاجتماعية... إنّ القناعة والرضا عاملان مهمان وفاعلان في جعل الإنسان في حالة ثقة دائمة بنفسه وراحة ووضع نفسي مستقر، إذ يبرمج الإنسان حياته على وفق إمكانياته ومؤهلاته الاقتصادية والاجتماعية المتوفرة مع سعيه المشروع لتحسين أحواله المعيشية، بعكس الإرباك والتخبط الذي يسببه القلق والسعي وراء الأشياء المفقودة التي تكون خارج حدود إمكانياته ومؤهلاته لتحصيلها(٥٣).

وكذلك حثَّ الإمام الآباء بعدم فرض عاداتهم وتقاليدهم على الجيل الذي يأتي بعدهم؛ بوصفهم سيعيشون في زمن يختلف عن زمنهم: «**علّموا أولادكم على غير عاداتكم فإنَّهم خلقوا لزمانٍ غير زمانكم**»(٥٤) فأفكار الناس وأنماطهم الاجتماعية وطرق عيشهم تتعرض إلى تغيّرات فهنالك كثير من العادات والأمور التي تتعلق بأنماط الحياة وثقافة المجتمع تكون لائقة في زمنٍ ما ومستهجنة في زمن آخر، فمواكبة التقدم الحضاري والفكري المقترن بالحفاظ على القيم الإنسانية النبيلة التي دعا لها جميع الأنبياء ضروري لتقوية البنية الفكرية والحضارية للمجتمع،وكذلك كثير من العادات والتقاليد بحاجة إلى غربلة لتحديد

المفيد من الضار[٥٥].

وفي الجانب الإداري نرى أنّ الإمام (عليه السلام) قام بإصلاحات مهمة وعادلة، وقد حدد لذلك مواصفات خاصة لبعض أصحاب المناصب والذين يتصدون لإدارة وقيادة المجتمع، ومن جملة ما قاله (عليه السلام) إنّه «أَنَّهُ لا يَنبَغي أن يَكونَ الوالي عَلَى الفُروجِ وَالدِّماءِ وَالمَغانِمِ وَالأَحكامِ وإمامَةِ المُسلِمينَ البَخيلَ؛ فَتَكونَ في أموالِهِم نَهمَتُهُ ولَا الجاهِلَ فَيُضِلَّهُم بِجَهلِهِ، ولَا الجافِيَ فَيَقطَعَهُم بِجَفائِهِ، وَلَا الحائِفَ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوما دونَ قَومٍ، ولَا المُرتَشِيَ فِي الحُكمِ فَيَذهَبَ بِالحُقوقِ، وَيَقِفُ بِها دونَ المَقاطِعِ ولَا المُعَطِّلَ لِلسُّنَّةِ فَيُهلِكَ الأُمَّةَ»[٥٦].

وعلى هذا الأساس المتين والوصف الرصين للمواصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها القائد فقد استغنى عن خدمات بعض الولاة من الذين لا يتحلّون بهذه المواصفات وقد بيّن الأسباب بقوله: «وَلَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا ، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُوَلًا، وعِبَادَهُ خَوَلًا، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ....»[٥٧]

وعلى خلاف ذلك: «لقد سبق لعثمان أن قرّب ممّن طردهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أو أقصاهم، لقد ردّ عمه الحكم بن أُميّة إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصبح يسمّى طريد رسول الله، وآوى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أهدر دمه، وولّاه عثمان مصر كما ولّى عبد الله بن عامر البصرة، فأحدث فيها من الأحداث ما جعل المؤمنين ينقمون عليه وعلى عثمان»[٥٨].

الخاتمة

توصّل الباحث برحلته البحثية إلى النتائج والمقترحات الآتية:

- جسّد الإمام علي (عليه السلام) جميع

القيم الإنسانية النبيلة، وإن فكره وسيرته امتداد لفكر وسيرة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

- سعى الإمام (عليه السلام) إلى تحرير المجتمع فكريا وحضاريا وعمل على نشر وتطبيق مبادئ حقوق الإنسان والتسامح واحترام الرأي الآخر، وقد عمل على إرساء أسس العدالة والمساواة بين الناس، وحث على التعايش السلمي والمجتمعي؛ لأثره الكبير في تكامل الحياة الإنسانية.

- وقوف الإمام (عليه السلام) في جميع مراحل حياته مع قضايا الفقراء والمظلومين والمحرومين.

- إنّ التنوّع والتعدد ليس مدعاة إلى الخلاف والصراع، وإنّما يثري الحياة الاجتماعية بالإبداع والتفاعل، وليس لفئة اجتماعية أفضلية على أخرى بسبب اللون أو العرق أو اللغة.

- إنّ للتكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية والتسامح دور كبير ومهم في ترسيخ الأواصر الاجتماعية وحفظ النسيج المجتمعي.

- الحاجة الماسّة لإنشاء مؤسسات ثقافية وفكرية وبحثية تأخذ على عاتقها نشر مبادئ حقوق الإنسان والتسامح والتعايش السلمي والمجتمعي واحترام الرأي الآخر والعدالة والمساواة التي دعا إليها الإمام (عليه السلام) وجسّدها في حياته، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب بشتى أنواعه.

الهوامش

١. نهج البلاغة: صبحي الصالح: ٨١.
٢. ينظر: ملامح من عبقرية الإمام: ١٩٢.
٣. للإطلاع بشكل أكثر، ينظر: الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية: ١٥٧.
٤. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٣٨.
٥. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٣٩- ١٤٠.
٦. ينظر: التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة: ١٤٠.
٧. الحجرات: ١٣.
٨. ينظر: التعدية الدينية في الفكر الإسلامي: ٣٤- ٣٦.
٩. الروم: ٢٢.
١٠. الحج: ٤٠.
١١. ينظر: التعددية الدينية في الفكر الإسلامي: ٣٦-٣٨.
١٢. نهج البلاغة: ج٣: ٩٣.
١٣. ملامح من عبقرية الإمام: ١١١.
١٤. ينظر: صدام الحضارات: ١٠.
١٥. ينظر: الإسلام يقود الحياة: ١٦- ١٧.
١٦. ينظر: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ١٧٣.
١٧. نهج البلاغة: ج٣: ٢٥٠.
١٨. نهج البلاغة: ج٣: ٢٥٠.
١٩. نهج البلاغة: ج٣: ١٩٤.
٢٠. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ج٢: ٧- ٨.
٢١. نهج البلاغة: ج٢: ١٦٦.
٢٢. ينظر: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٨
٢٣. المصدر نفسه.
٢٤. روائع نهج البلاغة: ٩٥.
٢٥. روائع نهج البلاغة: ٩٥.
٢٦. يُنظر: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٩.
٢٧. المصدر نفسه: ٢٢٩.
٢٨. المصدر نفسه: ٢٣٠.
٢٩. الكامل في التاريخ: المجلد الثالث: ٢٦٥.
٣٠. ينظر: أهل البيت (عليهم السلام) ومصلحة الإسلام العليا: ١١٢.
٣١. نهج البلاغة: تح صبحي الصالح: ٣٤٧.
٣٢. ينظر: أهل البيت (عليهم السلام) ومصلحة الإسلام العليا: ١١٢.
٣٣. نهج البلاغة: ج٣: ٧٨- ٧٩.
٣٤. نهج البلاغة: ج٣: ٩٥- ٩٦.
٣٥. ينظر: ملامح من عبقرية الإمام: ٤٥.
٣٦. روائع نهج البلاغة: ٢١٤.
٣٧. روائع نهج البلاغة: ٢٢٦.
٣٨. نهج البلاغة: ج٣: ٦٠- ٦١.
٣٩. نهج البلاغة: ج٣: ٢٣١.
٤٠. ملامح من عبقرية الإمام: ٩٩.
٤١. ينظر: الحرية بين الدين والدولة: ١١- ١٢.
٤٢. نهج البلاغة: ج٣: ١٥٣.
٤٣. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ١٦٦.
٤٤. نهج البلاغة:ج٣: ١٥٣.

٤٥. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ٢٠٧-٢٠٨.

٤٦. ينظر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٢٦.

٤٧. نهج البلاغة: ج٣: ١٠٣.

٤٨. نهج البلاغة: ج٣: ١١١.

٤٩. نهج البلاغة: ج٣: ١١٩.

٥٠. نهج البلاغة: ج٣: ١١٠- ١١١.

٥١. نهج البلاغة: ج٣: ١٦٥.

٥٢. نهج البلاغة: ج٣: ٢٦٦.

٥٣. ينظر: أخلاق الإمام علي (عليه السلام): ج١: ٢٥٤.

٥٤. ملامح من عبقرية الإمام: ١٥٨.

٥٥. ينظر: المصدر نفسه

٥٦. نهج البلاغة: تح: صبحي الصالح: ١٨٩.

٥٧. نهج البلاغة: ج٣: ١٣١- ١٣٢.

٥٨. الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام: ٢٣٢.

المصادر

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- جورج جرداق، الإمام علي (عليه السلام) صوت العدالة الإنسانية، اختصره وحققه حسن حميد السنيد، مطبوعات دار الأندلس- النجف الأشرف، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.
- جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- حسن السيد عز الدين بحر العلوم، التعددية الدينية في الفكر الإسلامي، العارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، الطبعة الثانية، ١٩٩٩.
- صبحي الصالح، نهج البلاغة، دار الكتب المصرية- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- عادل الأديب، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أدوار محورية وقيادة متميزة في الإسلام، مطبعة المغرب، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- فاضل الصفار، الحرية بين الدين والدولة، دار سحر للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء المقدسة، العراق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- فؤاد كاظم المقدادي، أهل البيت (عليهم السلام) ومصلحة الإسلام العليا، المؤسسة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، الطبعة الأولى، مطبعة الهدى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر (قدس سره).
- محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان، أخلاق الإمام علي(عليه السلام)، ج١- ج٢، دار المرتضى، الطبعة الثامنة، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.
- محمد عبدة، نهج البلاغة، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج١، ج٢، ج٣، مطبعة الإستقامة، مصر.
- مهدي محبوبة، ملامح من عبقرية الإمام، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- هادي المدرسي، التحديات الكونية ومتطلبات ترميم الحضارة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.